

الناحية الكتابية وأثرها في الناحية الأخلاقية

دراسة نقدية حول الرسالة البابوية «رونق الحقيقة»^{٥٠}

الأب جورج خوام البولي^{٥١}

مقدمة

إن الوثيقة التي نحن في صدد معالجتها «رسالة» بابوية موجهة، أولاً، إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكية، وإلى رعاتها ومؤمنها ورجال الفكر فيها، وجميع المولجين بنشاطات مختلفة على صعيد التعليم والتربية والتوجيه وفق النهج المسيحي الكاثوليكي. وهي مطروحة، ثانياً، كوثيقة كنسية رسمية أمام ضمائر الإخوة المسيحيين الآخرين، سلطات كنسية ومؤمنين، الذين لهم كل الحق أيضاً في النظر ملياً في أحكامها وتصريحاتها وتعليمها. كما أنها تخاطب، ثالثاً، كل إنسان أخ في الأسرة البشرية. هذه هي هويتها في عمقها؛ لذلك تدعى «رسالة».

والرسالة التي دون قارئ خطاب دون مستمع. ولما كانت هذه الوثيقة هكذا، على نحو ما هي عليه، رسالة إلى المؤمنين وغير المؤمنين، بات من حق الجميع قراءتها واستفسارها عن محتواها وسبر إيجاباتها وتمحيص الخلاصات التي انتهت إليها، سعياً في التجارب معها وتجاوياً مع مشيئة الساعي إليها، الذي أرادها لضرورتها ورغب إلا عن المجيء بها.

(٥٠) أقر كاتب المقال عبارة «رونق الحقيقة» لترجمت *splendor veritatis*.

(٥١) أستاذ الكتاب المقدس في معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت - حريصا (لبنان).

ولكن شأن ما بين قرأتها كنصّ وقرأتها كرسالة. إنّ الرسالة نصّ وفي النصّ إيلاخ. وإنّ ربا عند القارئ للنصّ وعظم ليف الواقفين على مضمونه فالجادون في تلقّف «الإيلاخ» والغائصون في تمحيص مقوماته قلّة، لأنّهم يبحثون في دعائم الرسالة ويروزون استقرار الأفكار فيها، ومنشدهم من عملهم نبيل لا يروم سوى خلعة «رونق الحقيقة»، التي تجهد الرسالة في إعلائها وإيلاخه. فقراءة الرسالة لدى هذه الفئة من القراء هي قراءة نقدية مختصة ومعنية باستجلاء رسوخ الأفكار وصوابية البلوغ إليها وموضوعية صياغتها. إنّها قراءة للرسالة في عمق ما تريد هذه تبليغه.

ضمن هذا النهج تتدرج قراءتنا للرسالة. إنّنا سوف نقود بحثنا وفق الناحية الكتابية فيها، أي القاعلة التي عليها يرتفع بناء الرسالة كلّها، لكي نتطّلع من خلاله على الأثر الحاسم في وجهة بناء الناحية الأخلاقية التي تنطرق إليها الرسالة، جاعلةً منها محور اهتمامها الرئيسي.

ولكن، لما كانت الرسالة مؤلفة من فصول ثلاثة، مختلفة في ما بينها، من حيث النظرة الفكرية، وجب علينا بالتالي العمل على التلازم ونبهنا. «فالفصل الأوّل كناية عن تأمل عميق وجليّ ويدع في مشهد الشاّب الغني...» (مقدمة، صفحة ٨)؛ بينما يستعرض الفصل الثاني مختلف النظريات الحديثة التي في وسعها تشويه الإدراك الصحيح للعقيدة الأخلاقية الكاثوليكية... ثم يناقشها» (صفحة ٨). أمّا الفصل الثالث فهو كناية عن «نداء إلى تعاون السلطات المدنية واللاهوتية والأخصائيين في علم الأخلاق...» (صفحة ٩)، في معنى تحريضيّ بحث ينأى عن الاهتمام الحصريّ بفصول الكتاب المقدّس. لذا، فقد قصرنا بحثنا على الفصل الأوّل من الرسالة، حيث تتأثر الناحية الكتابية بكلّ الاهتمام. واجتهدنا في تحليله بغية إبراز الطريقة التي تسلك فيها الرسالة في استخدامها نصوص الكتاب المقدّس.

(٥) الطبعة المستعملة هي التي صعدت بالفرنسيّة عن دارزي Mame/Plon في تشرين الأوّل

إستعمال الرسالة للمقاطع الكتابية

يدور الفصل الأول من الرسالة حول مشهد الشاب الغني كما يرد في إنجيل متى ١٩ : ١٦-٢١، فيتناول آية آية في تحليل دقيق للتعبير، ويلج فيه بُعد المعاني من خلال فحص المواقف المتبادلة والفوص في أبعاد النفس. كما تبرز المقدرة على تثبيت النتائج التي يبلغ إليها التحليل، إذ يأتي باستشهادات كتابية وآبائية ومجمعية نصّب كلها في خانة النتيجة المدركة، دون أن يخلو في الوقت نفسه من شفاقة روحية وتأملية، ووضوح في التعبير، وسلامة في الصياغة، وسمو الغاية التعليمية، ولا سيما الأخلاقية منها. لكن هذا كله منوط في مجمله بالقراءة التفسيرية التي يعتمد عليها الشرح للمقطع الإنجيلي المذكور، كما يبدو جلياً من خلال التأكيد التالي، الوارد في الصفحة ٢٨ من الرسالة:

«على نحو ما جرينا في القسم السابق من جواب يسوع، ينبغي على هذا الأخير أن يقرأ ويفسر في إطار الرسالة الأخلاقية بكاملها للإنجيل...».

ثمة إذا في انطلاقة المعالجة التحليلية لنص المقطع الإنجيلي قراءة تفسيرية محدّدة، يعتمد عليها كاتب الفصل الأول للرسالة الذي ينظر إلى الإنجيل بكامله وكأنه «رسالة أخلاقية». لذا، ينبغي من ثمّ علينا النظر عن كتب إلى الطريقة التي يتبعها كاتب روتق الحقيقة، في قراءته التفسيرية المحدّدة التي يطلّ بواسطتها على رسالة الإنجيل الخلاصية، ونش ما في هذا الكثر من درر حياتية ثمينة.

إنّنا، إذ ما نظرنا بعين التحليل العلمي إلى العرض الذي يقدمه الفصل الأول من الرسالة روتق الحقيقة، في شأن تفسير مقطع الشاب الغني، لأمكننا أن ننفذ إلى إثبات ثلاث طرائق قراءة يضطلع بها كاتب الرسالة:

١ - قراءة تفسيرية، وهي قراءة موضوعية يلزم فيها الشرح معطيات المقطع المباشرة؛

٢- قراءة ثانوية، وهي قراءة يقتطع فيها الشرح رسالة النصّ المعالج فيعلبها على نحو مطلق، ويرى فيها أمثلة تنطبق على الحالة الراهنة؛

٣- قراءة روحانية، وهي أبعد القراءات عن النصّ، إذ ينبسط الشرح في رحاب التأمل ويستسلم لوثبات الذاكرة وطفرات القلب في جوّ من الوريح والتعظيم.

كما لا يفوتنا أن ننوّه إلى إشار الرسالة مقطع الشاب الغنيّ كما يرد في إنجيل متى ١٩ : ١٦ وما يلي، بالرغم ممّا توردّه في صريح العبارة (أنظر «المقدمة» ص ٩، و «الرسالة» ص ١٦) بشأن اعتماد نصّي مرقس ولوقا. فإنّ نصّ إنجيل متى يتفرّد بين الإنجيليين الثلاثة في إيراد الآية ١٩ : ١٧ ب، التي نصّها: «إذا شئت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا»، والتي تشكّل حجر الزاوية الرئيسيّ في استخلاص النتائج الأكثر نفاذاً في توجيه دقّة التعليم الأخلاقيّ، الذي توليه الرسالة جلّ اهتمامها. أمّا استعمال نصّي الإنجيليين مرقس ولوقا فينحصر في ما يتفرّد به متن نصّهما (مر ١٠ : ١٨ ب و لو ١٨ : ١٩ ب)، ألا العبارة التالية: «لماذا تدعوني صالحاً، لا صالح إلا الله وحده؟»، علماً بأنّ الشطر الثاني من العبارة وارد في نصّ متى (١٦ : ١٧).

إنّا إذ نصّرب صفحاً عن معالجة هذه النقطة الأخيرة في قراءتنا النقدية التالية، سوف نعرض بالمقابل القراءات الثلاث حصراً، بدافع التقيد بالإيجاز في بسط مطالعتنا.

١ - القراءة التفسيرية

يتميّز هذا النوع من القراءة بالموضوعية المنزهة عن أيّ مآرب آخر غير مآرب التفسير. فلا نزعة إلى تمرير فكرة، ولا منازعة مع معاني النصّ حتّى يبيّن عمّا لا يكتشفه. بل جلّ الجهد التفسيريّ المبذول إبراز النصّ في حلّته القشبية، وإنارة جوانبه المتمدّدة حتّى تجلو معانيه دون عنوة ومن غير قسريّ.

إنّ مثل هذه القراءة الرائدة ساطع في أماكن شتى من الرسالة روثق

الحقيقة: فما يرد في الرقم ٨، الصفحة ١٤، بخصوص شرح آية متى ١٩: ١٦، دليل على هذا النوع من القراءة، إذ يذهب الشرح المذهب التالي في معرض الحديث عن موقف الشاب الغني:

«إنه إسرائيلي ورع شب في ظلال شريعة الرب. ولئن يطرح هذا السؤال على يسوع ففي مقدورنا أن نخيل أنه لا يأتي عمله عن جهل للجواب المدون في الشريعة. بل إنه من المحتمل جدًا أن يكون سحر شخصية يسوع قد أثار فيه تساؤلات جديدة حول الخير الأخلاقي. لقد أحس الشاب بضرورة الدنو من ذاك الذي ابتدأ بشارته بمثل هذا الإعلان الجديد والحاسم: «لقد حلّ الزمان واقترب ملكوت الله: فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٥).

كذلك هو الحال أيضًا بشأن الفكرة اللاهوتية التي يستخلصها الشرح من تفسير لآية متى ١٩: ١٧: «لا صالح إلا الله وحده». فالرسالة محقة في تسطيرها الفكرة التالية:

«في الحقيقة، يعني التساؤل حول الخير في ختام المطاف الالتفات نحو الله الذي هو ملء الصلاح. فيسوع يُظهر أنّ سؤال الشاب إنما هو في الواقع سؤال ديني، وأنّ الصلاح الذي يجتذبه المرء ويحمّله في الوقت نفسه على الالتزام إنما مصدره في الله، بل أخرى بالقول إنّ مصدره الله نفسه الذي يستحقّ وحده المحبة «بكلّ القلب، وكلّ النفس، وكلّ الذهن» (متى ٢٢: ٣٧). هو الله مصدر سعادة الإنسان. إنّ يسوع يقارب بين السؤال حول الفعل الحسن أخلاقيًا وجذوره الدينية والاعتراف بالله، الصلاح الأوحد، وملء الحياة، وغاية الملك البشري القصوى والغبطة التامة».

وتستمرّ هذه القراءة التفسيرية الصائبة في خطها الموضوعي لدى استطرادها في إصدار الشرح تلو الشرح بخصوص الآية المذكورة متى ١٩: ١٧، حتّى إنّها تُخلّص إلى رؤية مينة وجليّة في شأن قدرة الإنسان الحقيقية، لا المثاليّة والخياليّة، في التزامه حياةً وتطبيقًا جانب المثل الأخلاقيّة. ففي الصفحة ١٩، الرقم ١١، تؤكد الرسالة:

«يعود بنا التأكيد على أنه «لا صالح إلا الله وحده» إلى اللاتحة الأولى للوصايا، التي تدعو إلى الاعتراف بالله إلهًا واحدًا أحدًا... فالخير هو الانتماء لله، والطاعة له، والسير سيرًا وضيئًا معه بإقامة العدل ومحبة الرحمة. إن الاعتراف بالرب إلهًا نواة الشريعة الأساسية وصميمها، منها تنحدر الرسوم الخاصة...»

ولكن إن كان الله وحده هو الصلاح ففي غير وسع أي من الجهود البشرية، ولا في وسع أشد الالتزامات بالوصايا تقيّدًا، أن «يتم» الشريعة، أي أن يعترف بالرب إلهًا...».

ضمن هذا الخطّ التفسيري للقراءة الكتابية الموضوعية تدرج أيضًا التأكيدات الواردة تحت الرقم ١٣، على امتداد الصفحتين ٢٣-٢٤.

٢ - القراءة التأويلية

إنّ هذا النوع الثاني من القراءة الذي يقوم في أساسه على نقل رسالة المقطع الإنجيلي من ظروفه ومعطياته وعقليته معاصريه إلى الآن الراهن غالبٌ على الشروحات التي تملئها الرسالة ووفق الحقيقة، كما يظهر جليًا في الشرح الوارد تحت الرقم ٧، ص ١٣ للجملة الإنجيلية «وإذا شاب...»، إذ يأتي التعليق على النحو التالي:

«يسمنا أن نكتشف في الشاب الذي لا يذكر إنجيل متى اسمه كلّ شاب يقترب من المسيح، عن وعي منه أم عن غير وعي، فيطرح عليه السؤال الأخلاقي...».

كما يتبدّى ذلك أيضًا في الجملة الاعتراضية الواردة في الصفحة ١٦، الرقم ٩، بشأن التعليق على عبارة «المعلّم الصالح»، إذ تذكر الرسالة:

«إنّ المعلّم الصالح يبيّن لمحدثه - ولنا جميعًا - أنّ الجواب على السؤال: «ماذا عليّ...؟» لا يمكن الحصول عليه إلا عبر توجيه الروح والقلب نحو مَنْ هو وحده الصالح».

قد لا تترك أحيانًا هذه القراءة التأويّية أثرًا حاسمًا في صحّة الشرح المعطى إذا كان هدفه إنماءً روحيًا محضًا، وإرشادًا توجيهيًا وحسب، ينمّش النفس ويبنى منها طواياها. لكنّها تغدو ذا شأن بالغ الأثر عندما يتّجه الشرح في اتجاه بناء الأحكام واستخلاص الخلاصات. وكلّما علّت درجة هذه الأخيرة إثباتًا وتحديدًا وجزمًا غدت القراءة التأويّية منحاّزة ومهدوفة وأحادية المنظار. فانطلاقًا من واقع القراءة التأويّية، يصبح أمرًا ضروريًا مراقبة مسارها ومعارج منطقها وتسلسل الربط فيها بين النتائج المدركة والتفسير الذي يُبلّغ إليها.

ففي الصفحة ٢١، على سبيل المثال، تفسّر الرسالة جواب يسوع إلى الشاب: «إذا أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا»، على النحو التالي:

«في هذه الطريقة، يقصّح عن الرباط الوثيق بين الحياة الأبدية وحفظ وصايا الله: إنّ وصايا الله ترسم للإنسان طريق الحياة وتقود إليها. فعلى فم يسوع نفسه، موسى الجديد، تعطى أوامر الوصايا العشر ثانيةً إلى البشر؛ هو نفسه مَنْ يَبْتِها تَيْتًا نهائيًا ويعرضها علينا كطريق إلى الخلاص وشرط له».

إنّ هذا التفسير نتيجة قراءة تأويّية لجواب يسوع، يقيم الدليل عليها الملاحظات التالية:

١ - الرباط وثيق بين الدخول في الحياة وحفظ الوصايا، لا «بين الحياة الأبدية وحفظ وصايا الله»، كما يدّعي الشرح المعطى؛ ذلك أنّ «وصايا الله ترسم للإنسان طريق الحياة وتقود إليها»، كما يردف نصّ التفسير عينه.

٢ - إنّ يسوع في جوابه إلى الشاب الغني لم يتفوّه بالوصايا العشر، أوّلاً؛ وهو لم يذكر منها ثانيًا ما ذكر إلّا بناءً على سؤال الشاب، لا في نحو مطلق يخصّ البشر أجمعين. إنّ قراءة تحليلية دقيقة للنصّ تختلف كلّ الاختلاف عن القراءة التأويّية التي تميل الرسالة إلى الأخذ بها في

تأكيدها. أما الحديث عن شمولية الوصايا العشر وأمر صلاحية الأخذ بها في كل زمان ومكان فيندرج في منظار آخر، لا شأن لجواب يسوع به، في نظرنا.

٣- هل يمكن حقًا فهم جواب يسوع كأنه حديث عن الخلاص أولًا، وشرط له ثانيًا؟

ثمة المزيد ممّا ينبغي قوله في هذا المجال، ما يمكن القارئ من عدم الوثوق بنتائج القراءة التأويلية، وعدم الركون إلى طريقتها في إصدار التأكيدات الجازمة. إنّ الرسالة تذكر في أسفل الصفحة ٢٠، أي قبل بضعة أسطر فقط من تأكيدها السابق ذكره أعلاه، أنّ:

«إعطاء الوصايا العشر هو وعد بالعهد الجديد وعلامة له عندما ستُدَوّن الشريعة ثانية إلى الأبد، في قلب الإنسان... مستبدلةً شريعة الخطيئة التي قد أفدت طيعة هذا القلب...».

ما من داع إلى كبير جهد حتى يستجلي القارئ هويّة كلٍّ من الشريعتين اللتين يتحدث عنهما النصّ: فالشريعة الجديدة التي ستدوّن ثانية «إلى الأبد، في قلب الإنسان» هي شريعة العهد الجديد، فيما «شريعة الخطيئة التي قد أفدت طيعة هذا القلب» هي الشريعة القديمة. فلم، والحال هذه، نجد يسوع يَصِلُ وَصَلًا وثيقًا، بحسب الشرح الذي تعطيه الرسالة، شريعة الوصايا العشر بالحياة الأبدية، دون أن يحذّر للشاب الشريعة الجديدة التي افتتح قلبها هو نفسه؟ هل الحياة الأبدية التي يرى نصّ الرسالة ووثق للحقيقة رباطًا وثيقًا وبين الوصايا العشر أحقّ بالشريعة القديمة «التي قد أفدت طيعة هذا القلب» منها بالشريعة الجديدة؟

إنّ الحديث عن «الحياة الأبدية» فصل من فصول العهد الجديد، لا يقوم للكلام عليه قائم إلا في الرباط الوثيق مع شخص الرب يسوع، سواء أكان في التجرد لأجله (را متّى ١٩ : ٢٩؛ مر ١٠ : ٣٠؛ لو ١٨ : ٣٠)، أم في الإيمان به (را يو ٣ : ١٥-١٦)؛ وهذا أمر. والحديث عن الوصايا العشر فصل من فصول العهد القديم، له شأنه من زاوية الإعداد فقط لمرحلة العهد الجديد، وهذا أمر آخر. إنّه غير قادر أن يتزع ما تحقّق بشخص

المسيح الرب: الحياة الأبدية، كما هو غير قادر على إسداء ما أسدي
بشخص المسيح الفادي: الحياة الأبدية. فلا تربطن «رابطًا وثيقًا»؛ بالتالي،
بين «الحياة الأبدية» و «الوصايا العشر»، إلى حد أن نجعل من هذه الأخيرة
شرطًا للخلاص.

إن تفسير جواب يسوع وفق الطريقة التاوينية يصبح أقرب إلى الصواب
عندما يُترجم منه ما ليس في الجواب، بل هو محض إضفاء عليه من قيل
الآية الملحاح. فالحديث عن «رابط وثيق بين الحياة الأبدية وحفظ وصايا
الله» مقبول في التفسير التاويني، شرط أن يحمل التشديد على معنى الدخول
فيها، لا على معنى الاشتراط، معنيًا في الخلاص.

نمّة مثال آخر في الرسالة على القراءة التاوينية يظهر في الصفحة ٢٢،
تحت الرقم ١٣. تؤكد الرسالة في تفسيرها جواب يسوع الذي يورد فيه
بضعًا من الوصايا العشر أنّ

«يسوع لم يبيح وَضَعَ لائحة جميع الوصايا اللازمة «للدخول في
الحياة»، وإنما بالأحرى إرجاع الشاب إلى ما يؤلف «النقطة المحورية» في
الوصايا العشر، بالنسبة إلى أيّ من الأوامر الأخرى، أي إلى ما تعنيه
للإنسان عبارة «أنا هو الرب إلهك...».

فالوصايا الواردة في جواب يسوع هي، بحسب هذا التفسير، محور
الوصايا العشر. لكنّ نظرة محلّلة إلى فحوى هذا التأكيد لا تلبث أن تنزع
النقاب عن عدد من فجوات عبارته:

١ - لو كانت تلك الوصايا حقيقة نقاطًا محورية في لائحة الوصايا العشر،
فلمّ تردّ إذاً في ختام اللائحة، بعد أوامر أخرى؟

٢ - ولو كانت تلك الوصايا حقيقة نقاطًا محورية «بالنسبة إلى أيّ من
الأوامر الأخرى» في لائحة الوصايا العشر، على حسب تأكيد الرسالة،
فهل هذا يعني أنّ الأوامر الأخرى أقلّ محورية منها؟ حاشى! فعبادة الله
الواحد (خر ٢٠: ٣) عبادة صحيحة لا زيف فيها (الآيتان ٤-٥)، دون
الإساءة إليه أو إهانة اسمه (آ ٧)، هي نقاط أكثر محورية وأهميّة.

٣- وهل تمكس الوصايا الواردة في جواب يسوع، كما تدعي الرسالة، ما تعنيه للإنسان عبارة «أنا هو الرب إلهك»؟ أم هي بالأحرى الوصايا السابقة لها في اللائحة؟ أليست هذه الأخيرة، التي تلي مباشرة العبارة المذكورة؟

ليست الوصايا التي ذكرها يسوع في جوابه أكثر محورية من الوصايا الأخرى في لائحة الوصايا العشر؛ بل العكس هو صحيح، إذ تؤلف الأوامر الواردة أولاً في تلك اللائحة ما هو جوهرتي لحياة الإنسان، بينما تدر الأوامر اللاحقة «تمييزاً» مجسّداً، لا نقاطاً محورية، لما هو حقيقة جوهرتي. وقد تنبّهت الرسالة، في سائر الأحوال، إلى مغالاتها في هذا الضدد، فأصلحت في الصفحة ٢٣ من شأن هذه المغالاة وأعادت إلى الموضوعية العلمية صياغة عبارتها، فأقرّت أنّ الوصايا التي وردت في جواب يسوع هي «وصايا تدخل في عداد ما يسمّى «باللوحه الثانية» للوصايا العشر...».

٣ - لقراءة الروحانية

يتميّز هذا النوع الثالث من القراءة الذي تطالعنا به رسالة روتق الحقيقة بتفريجه عن المحاولات التفسيرية. فالعرض يتخذ له نقطة انطلاق من الآية المشية في مطلع القراءة، فيستوحي من عبارتها فكرة يغوص فيها تأملاً، ويشبعها توغلاً في أبعادها الروحية، ويتقلب في صورها على كلّ وجه طارفاً كلّ مرجع نظرق إليها: من الرسائل البولسية والكاثوليكية إلى القرارات المجمعية، ومن الشهادات الآبائية إلى التحديدات البابوية. لذا، فإنّ تصريحات الرسالة المندرجة في هذا الصنف من القراءة تدخل في مضمار البلاء الروحي وتشيد عزائم النفس البشرية، ليس إلّا.

من الأمثلة الناطقة على هذا الضرب من القراءة ما تورده الرسالة على طول المصححين ٣٤-٣٥، تحت الرقم ٢٠، إذ نجد هنا استطراداً حول موضوع المحبة، منصّباً تحليلاً وبرهاناً لا على كلمات يسوع الآمرة «تعال اتبعني»، بل على الآية يو ١٥ : ١٢ : «هذه هي وصيتي: أن يحبّ بعضكم بعضاً كما أنا أحبّكم».

كما يمكن إدراج القراءة المبسطة في الصفحات الممتدة من ٣٧ إلى ٤١، الموضوعة تحت الأرقام ٢٢، ٢٣ و ٢٤، ضمن هذا النوع من القراءة الروحانية. فتحت عنوان «كل شيء ممكن عند الله» تستطرد الرسالة في قراءة روحانية مسببة لمقاطع عديدة من العهد الجديد، ولا سيما رسائل القديس بولس والرسالة الأولى للقديس يوحنا. إن الموضوع المشترك الذي يوجه نص الرسالة إلى القُرَف من هذه المقاطع المختلفة هو موضوع المحبة، فيما لا نجد تفسيرًا ولا إلحاحًا إلى كلام يسوع المصنّر في العنوان.

خلاصة

يبرز الفصل الأول من الرسالة رونق الحقيقة في حلة تأملية ناصعة، تعبق بأريج التغم في مخاطبة كلام الله أو تذوق حلوله على انبساطه في المهديين القديم والجديد. وإذا تصدر فاتحة الكلام فيها فهو خير محيا للتعليم الذي تسديه، من ثم، عبر دفتي الكتاب، يضمني عليه وعلى قارئه سحة من ترفع النفس وصبرتها نحو الخالق، في سعي وراء الاستارة بالحقيقة التي هي في ذاته الخالقة. علاوة على هذا، فإن الفصل الأول من الرسالة يبرز أيضًا في دوره المميز كقاعدة للبناء الأخلاقي، الذي ترمي الرسالة إلى تشييده.

لكنّ قراءته لفصول الكتاب المقدس، كما بدت لنا من خلال ما تقدّم، ليست دائمًا تلك القراءة الموضوعية التي تجيز إيراد الخلاصات المنيمة، ولا سيما ما بدا منها في لهجة جازمة وحاسمة. فالتسجعة الملزمة ملزمة بمطابقتها التامة لقراءة منزّهة عن كلّ ميل واتجاه. وإذا تتراوح قراءة الفصل الأول من الرسالة بين أنواع مختلفة من القراءات التفسيرية يصعب بالتالي البتّ في أمر النتائج التي يُبلّغ إليها، بصورة عامة. ويجب، من ثمّ، النظر في حالة كلّ نتيجة على حدة.

يقي علينا أن نذكر أخيرًا ما للرسالة من حقّ على الملتزمين عميقًا في نهج مسيحي كاتوليكي وصميمي.

صدر حديثاً عن دار المشرق

